

الكتابات التاريخية

مسجد إبراهيم بن أدهم، جبلة

ياسر ماري

قد ترجمت مادة (إبراهيم بن أدهم) عن الموسوعة الإسلامية الكبرى الإيرانية، ونشرت هذه **كنت** الترجمة في العدد الرابع والعشرين من النشرة الثقافية (الراصد) التي تصدر عن المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في بيروت، والمادة المذكورة غنية شاملة موقفة، إلا أنها أهملت الحديث عن مسجد إبراهيم بن أدهم في مدينة جبلة... لذلك عمدت إلى الكتابات التاريخية المتناثرة على جدران المسجد من الداخل فنقلتها استكمالاً للبحث.

اللوحة الأولى:

على الحائط الخارجي لغرفة الضريح إلى يمين الباب، نصّ الكتابة فيها:
قد نال إبراهيم من ربّه
ماتل أدهم من قبله

(شجاع)

(بطل)

ويطعمون الطعام على حبه

والناس تأتي إلى بابّه

إنّ كلمتي (بطل شجاع) تشكّلان التاريخ الحرفي لبناء الغرفة، وهي طريقة كانت مستعملة قبل اعتماد التاريخ الشعري المعروف (١). وعلى هذا فالبناء يعود إلى سنة ٤١٥ هـ = ١٠٢٤ / ١٠٢٥ م. وليس في النص إشارة إلى اسم الباني أو المشرف على البناء...

كانت بلاد الشام في الفترة التي يشير إليها التاريخ السابق تعيش حالة فوضى سياسية، فقد تمكن المرداسيون من السيطرة عليها، فدانت حلب لصالح، وبقية أجزاء الشمال لسنان، وفلسطين لحسان، ثم دخلوا بعد مقتل صالح سنة ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م في صراع مع الفاطميين. وكانت اللاذقية من قبل قد سقطت بيد الروم البيزنطيين، وتبعت جبلة إمارة بني عمّار في طرابلس. ولم يتمكن الامبراطور

العربي

بقي أن نشير إلى أن محمد غالب الطويل جعل هذه السنة سنة وفاة إبراهيم بن أدهم (٤)... بينما تُوِّرخ وفاته المصادر التاريخية كلها بسنة ١٦٠هـ أو ١٦١هـ أو ١٦٢هـ وربما سنة ١٦٣هـ (٥).

وتقع في الجدار الشرقي المجاور لغرفة الضريح، ونص الكتابة فيها:

بحمد الله والهادي المعظم

تکمل ذا البنا فی خیر عام

وعبد القادر الراجي ثوابا

برمضانَ المعظمَ جاء تاريـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ

آمن بالله واليوم الآخر

تقع في الجدار الشمالي، ونصّ الكتابة فيها:

وفي عام تسعين مع تسعمائة

مقام ابن ادهم قدس الله سره

153

الجدار، كتبت فيها كلمة (علي) مكررة أربع مرّات متداخلة بشكل هندسي (٦)، وإلى جانبها كتبت العبارة التالية بخط الثلث المتداخل:

عمل المعلم سيف الدين ابن المعلم الزين.

وإلى يمين اللوحة أيضاً لوحة ثانية قريبة من الأرض إلا أن الكتابة فيها مطموسة تماماً.
اللوحة الرابعة:

لوحة رخامية غير مثبتة في الجدار، موجودة في ركن من المسجد كتبت عليه العبارات التالية على ستة أسطر:

(الله حقّ)

(أنشأ هذه القباب الأربع في هذا)

(المكان الراجي عفو الملك المنان)

(الحاج عبد القادر المتولّي بالمقام الشريف).

(ومباشرة الوكيل محمد بن إبراهيم الضعيف).

(سنة ٩٩٤).

هذه اللوحة هي تأكيد لكلّ من اللوحتين السابقتين الثانية والثالثة، وقد كتب فيها التاريخ بالأرقام، وفيها بيان لبناء أربع قباب، تشكل الجناح الثاني من حرم الصلاة، وفيها ذكر لاسم الوكيل المباشر للعمل محمد بن إبراهيم الضعيف... إلا أن قراءة كلمة الضعيف قراءة ظنية لأنها وقعت في طرف السطر وأصابها شيء من التلف.

اللوحة الخامسة:

وتقع في الجدار الشرقي للإيوان الشمالي المفتوح على حرم الصلاة، والمجاور. لغرفة ضريح (إبراهيم بن بشار؟) (٧)، واللوحة تقع أعلى الحائط، وفيها ستة أسطر بخط الثلث المتداخل، كتب فيها:

١- بسم الله الرحمن الرحيم إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً. أنشأ هذا المكان المبارك في

٢- أيام مولانا المقر الأشرف العالي المولوي الكافلي السيفي طرغاي الصالحي كافل الممالك الطرابلسية.

٣- أعزّ الله أنصاره وذلك بإذن العبد الفقير إلى الله تعالى عزّ الدين أيك بن عبد الله الداودار.

٤- من ماله أثابه الله تعالى ابتغى به وجه الله والدار الآخرة سنة

٥- ثلث وأربعين وسبعمائة

٦- وتولى عمارته الفقير إلى الله تعالى أبو بكر بن عثمان الهكاري.

يذكرنا تاريخ اللوحة على أن هذا الإيوان بني خلال حكم السلطان الناصر عماد الدين اسماعيل ونيابة طرغاي الصالحي عن طرابلسي... وكان طرغاي قد تولى نيابة طرابلس في شهر رجب من سنة ٧٤٣ هـ (٨) في السنة التي بنى بها هذا الإيوان ، ثم توفي في السنة التالية (٩).

اللوحة السادسة:

على العمود الغربي في حرم الصلاة، وفيها ثمانية أسطر، لكن قراءتها متعذرة لما أصابها من تلف، ويمكننا باطمئنان أن نقرأ العبارات التالية.

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- أنشأ هذه البركة والبلاطة == واصلاح ==

٣- ===== الفقير إلى إحسان الله.

٤- المقر العادل الأشرفي =====

٥- في مدة =====

٦- ===== المملكة الطرابلسية في شهر ربيع الأول.

٧- ===== إحدى و ===== وتولى =====

٨- القيم =====

تعود هذه اللوحة إلى العصر المملوكي، وفيها إشارة إلى وجود بركة ماء، في المسجد، وكان ابن بطوطة قد تحدث عن بركة في زاوية إبراهيم بن أدهم عندما زار مدينة جبلة (١٠).

اللوحة السابعة:

تقع على الحائط الجنوبي قرب المدخل، وتحوي ثلاثة أسطر، كتب فيها مايلي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم. أنشأ هذا المكان المبارك المعمور.

٢- بذكر الله تعالى مولانا الحاج أبو اسماعيل بن عزمت سدد الله =====

٣- وخلد الله ===== في شهر ربيع الأول سنة سبع وألف من الهجرة.

تعود هذه اللوحة إلى العصر العثماني، وإلى زمن السلطان محمد الثالث، أما الحاج أبو اسماعيل بن عزمت فلم أعثر في كتب التاريخ على مايشير إليه... وإن قراءة الاسم ليكتنفها شيء من الغموض.

□ الحواشي

- ١- انظر: تاريخ آداب العرب- مصطفى صادق الرافعي- دار الكتاب العربي- بيروت ١٩٧٤م-
الطبعة الثانية الجزء الثالث الصفحة ٣٧٧.
- و كذلك : الشعر المملوكي والعثماني - د. بكرى شيخ أمين- دار الآفاق الجديدة- بيروت ١٩٨٠م-
الصفحة ١٦٧ وما بعد.
- ٢- انظر : تاريخ الحروب الصليبية- ستيفن رنسيمان - ترجمة الدكتور البار العريني دار الثقافة -
بيروت- الجزء الأول- الصفحة ٥٥ وما بعد.
- و كذلك مدخل إلى الحروب الصليبية- الدكتور سهيل زكار- دار الفكر - الطبعة الثالثة- الصفحة
٦٨- وما بعد.
- ٣- انظر: تاريخ الحروب الصليبية- ستيفن رنسيمان- الجزء الأول- الصفحة ٥٥ .
- ٤- تاريخ العلويين- محمد أمين غالب الطويل- دار الأندلس- الطبعة الرابعة ١٩٨١م- الصفحة
٢٨٨.
- ٥- انظر: الموسوعة الإسلامية الكبرى (دائرة المعارف بزرگ إسلامي) - طهران المجلد الثاني-
الصفحة ٤٠٣ وما بعد.
- ٦- أبحاث تاريخية وأثرية- جبرائيل سعادة- ترجمة سلمان حرفوش- دار طلاس. للدراسات
والترجمة والنشر - الطبعة الأولى ١٩٨٧- الصفحة ٢٤٨ الشكل (٢٠).
- ٧- حلية الأولياء - أبو نعيم الأصبهاني- بيروت ١٩٨٧م- الجزء السابع الصفحة ٣٦٨.
- ٨- لتتمة المختصر في تاريخ البشر - ابن الوردي- جمعية المعارف القاهرة ١٢٨٥ هـ الجزء
الثاني - الصفحة ٣٣٦.
- ٩- المصدر السابق- الجزء الثاني- الصفحة ٣٣٩.
- ١٠- انظر: رحلة ابن بطوطة- دار التراث بيروت- ١٩٦٨م- الصفحة ٧٤.